المرأة في روايات أحمد إبراهيم الفقيه

د. عائشة أبو القاسم على كلا
عضو هيئة تدريس بكلية العلوم والآداب بدر
جامعة الزنتان

المقدمة: **تصحيح**

اهتمت الدراسات الحديثة بالرواية على أنها جنس أدبي صاعد في الوطن العرب وباعتبارها الان أهم قنوات الإبداع، وأكثرهم حساً بهموم الناس، ونظراً أن المرأة مكون أساسي من مكونات الرواية فقد زاد الاهتمام بها، ولا يكاد يقوم عمل أدبي دون الارتكاز على هذا العامل. وعليه فيتمثل موضوع الدراسة: المرأة في روايات **أحمد إبراهيم الفقيه**، من خلال نصين **روائيين هما: (الثلاثة وحقول الرماد)**، لم يكن اختيار الموضوع مبنياً على رغبة مجردة، بل تأكيداً على الإحساس بوجود فراغ تعاني منه المكتبة العربية في مجال الدراسات الخاصة بالرواية الليبية وبنيتها التي لاقت إهمالاً واضحاً من قبل الدارسين والنقاد. إن اختياري للثلاثية وحقول الرماد **(لأحمد إبراهيم الفقيه)** هو اختيار **مقصود وذلك للأسباب التالية:**

1. إنه عمل روائي يحتوي نشاطه الإبداعي على جملة من الشروط اعتبرها النقاد ناضجة. خصوصية المرأة في أدب الفقيه وكيفية معالجته لها وتنوع صورها لديه. إن الحياة الأدبية المعاصرة في ليبيا – التي يعد الفقيه أحد أعلامها – لازال مجهولة عند كثير من الدراسين.
2. الرغبة في تقديم دراسة متواضعة لجانب من جوانب الإبداع الأدبي.

أما عن الجهود السابقة، فقد لاقت الثلاثية بالتحديد اهتمام النقاد في البلاد العربية وحتى الأوروبية بخاصة بريطانيا حيث ترجمت إلى اللغة الإنجليزية، لما تميزت به من مستوي فنى رفيع مقارنة بالروايات الليبية السابقة حسب رأي النقاد أمثال الدكتور (على الراعي) الذي وصف (الثلاثية) في كتابه "الرواية في الوطن العربي" (1)، بأنها عمل كبير وفاتن وشاعري وكتب **محى الدين صبحي** عنها"(2) بأنها محاولة غير مسبوقة للقبض على جنى الزمن وحبسه في قمقم مساحته دقيقة واحدة وأنها رواية تعبر عن شوق الإنسان العربي إلي زمن الانعتاق بقدر ما تعبر عن محنة إنسان العصر وتدق ناقوس

---

(1). د. على الراعي، "**الرواية في الوطن العربي**"، ط 1، دار المستقبل العربي، مصر – القاهرة ،1991م، ص 555.

(2). أحمد إبراهيم الفقيه، "**هذه تخوم مملكتي**"، ط1، منشورات مؤسسة دار الريس للكتب والنشر، لندن – قبرص، مايو 1991م.

الفجيعة والخطر (3). كما كان " **الزمن في الثلاثية** "، موضوعاً لنيل درجة الماجستير عند الباحثة" **فاطمة الحاجي**"(4)، وكذلك لاقت الثلاثية ترحيباً كبيراً في الأوساط الأدبية حيث فازت عام **1991م** بجائزة أفضل عمل إبداعي (5).

أما رواية "**حقول الرماد**"، فقد ترجمت أيضاً إلي اللغة الصينية على يد الكاتب "**لي رونغ جيان**"(6) ونظراً لأن عملية المنهج تعتبر أساس كل الخطوات التي تواجه الباحث فقد اخترت المنهج الوصفي التحليلي الذي يعمل على تشريح النص ومعطياته بدقة وموضوعية، وقد جاء في مقدمة وتمهيد

3. أحمد إبراهيم الفقيه،" نفق تضيئه امرأة واحدة"

4. فاطمة الحاجي، "الزمن في ثلاثية الفقيه "، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة الرباط، سنة 1986م.

5. لي رونغ جيان،"وجهة نظر صينية في أدب أحمد إبراهيم الفقيه"، مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية، العدد 79، السنة التاسعة، القاهرة ،1992م، ص 113.

6. المرجع السابق، ص110.

وفصلين وخاتمة تحدثت في المقدمة عن أسباب اختياري لهذا الموضوع **وقسمت التمهيد إلي:**

أ- نبذة عن حياة الكاتب.

ب-المرأة في الرواية العربية.

- **وجاء الفصل الأول (المرأة عند الفقيه) في مبحثين:**
- ❖ **المبحث الأول: صور المرأة.**
- ❖ **المبحث الثاني: المرأة والبيئة.**
- **أما الفصل الثاني فهو (دراسة فنية) وقد جاء في ثلاثة مباحث:**
- ❖ **المبحث الأول: الشخصيات.**
- ❖ **المبحث الثاني: الأسلوب.**
- ❖ **المبحث الثالث: أهمية اللغة.**
- ❖ **وضمت الخاتمة نتائج البحث التي توصلت إليها.**
- ❖ **قائمة بالمصادر والمراجع والدوريات التي استعنت بها.**

- تمهيد:

أولاً: نبذة عن حياة الكاتب:

أحمد إبراهيم الفقيه كاتب قصصي وروائي ولد في **(28 ديسمبر 1942م)**، بقرية "مزدة"(7) التي تقع جنوب مدينة طرابلس، وتعددت مواهبه ونشاطاته منذ فترة مبكرة فقد بدأ الكتابة للصحف والمجلات عام **1959**م، كما أسهم في تأسيس فرقة "**مسرح الجديد**" للهواة وتكرست مكانته ككاتب قصة بصدور كتابه القصصي "**البحر لا ماء فيه**" عام **1965م**، حيث بدأ نجمه بالسطوع فقد منحته اللجنة العليا للآداب والفنون الجائزة الأولي في القصة وبعدها توالت إبداعاته الأدبية فأصدر عدة مجموعات قصصية كانت موضع إعجاب **وتقدير النقاد**"(8)، وفى سنة **1985م** أصدرا أول رواية له بعنوان " **حقول الرماد**"(9) التي حظيت بنجاح كبير باعتبارها نقطة تحول في مسار الرواية الليبية حيث أسهمت في تأسيس هذا الفن وإغناء رصيده الأدبي، كتب بعدها قصة ومجموعة قصص ولوحات بعنوان "**البحث عن ليلى العامرية**" لينهمك بعد هذا التاريخ في كتابة **(ثلاثيته الروائية الثانية)** التي صدرت عام **1991م** لتكون إحدى شوامخ الأعمال الأدبية وإضافة جليلة إلي رصيد الرواية العربية (10). إن الكتابة الروائية عند الفقيه رؤية واعية لواقع الحال ولما يجب أن تكون عليه، هي محاولة لتلمس خيوط النور، وصرخة تمرد لتحدى مفاهيم

---

7. تبعد بحوالي 180 كيلو متر او تتبع حالياً بلدية الجبل الغربي.
8. انظر: لي رونغ جيان، مصدر سبق ذكر، ص ص: 110-111-112.
9. الصيد أبو ديب، "معجم المؤلفات الليبية"، الفصول الأربعة، عدد82 والسنة العشرون،1998م، الجماهيرية، ص 72.
10. انظر: لي رونغ جيان، مصدر سبق ذكره، ص 112-113.

واهية والمتتبع لنتاج الفقيه القصصي والروائي يرى أنه يستمد قوته من حياة الناس ويقترب بشدة من مواطن الجمال في أدب هذا الشعب وينمى شكله ومفهومه العام من الحصيلة الثقافية في المدينة ثم يغذى هذين الرافدين بهذا التيار الجارف من الأدب الواقعي في الشرق والغرب ([11]).

ثانياً: المرأة في الرواية العربية:

لقد اهتم كل كاتب من كتَاب الرواية العربية بنموذج المرأة الذي يختاره وفق خصوصياته ومعاييره، وهناك كتاب كثيرون اهتموا بالمرأة كبطلة تحمل العبء الأساسي في العمل الإبداعي من هؤلاء "حنا مينه وإحسان عبد القدوس ويوسف إدريس وتوفيق الحكيم والطيب صالح"([12]) ولا تكاد تخلو رواية من شخصية المرأة!! فهي عنصر مهم في الكتابات الأدبية بشكل أو بآخر...

لأن الرواية تصور العلاقات الإنسانية وبما أن المرأة نصف المجتمع فهي موجودة وبشكل كبير في مراكز المخيلة الإبداعية، وقد يأتي دور المرأة من حيث القوة والضعف وفق خط سير أحداث الرواية وظروفها ([13]). ونجد أن الرواية العربية الحديثة، وكتَابها، قد انتبهوا لواقع المرأة في المجتمعات العربية لذلك عني الروائيون بتصويرها في أوضاع ومراحل مختلفة تتناسب مع مستوى التطور الذي وصلت أليه.

---

11. سليمان كشلاف، "البحث عن لحظة حنان"، مجلة الفصول الأربعة، السنة الثانية، عدد8، 1979م، الجماهيرية، ص 78.

– انظر: حسين مصطفى، "مقالات في القصة والرواية "، المنشاة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، عدد 97، 1986م، ليبيا – طرابلس، ص ص: 45-46.

12- شمس الدين موسي "المرأة الأنموذج في الرواية العربية "، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1981م، ص 6.

13- انجيل بطرس سمعان، "دراسات في الرواية الانجليزية "الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1981، ص 101.

كان الفقيه موفقاً في تصوير خصوصيات عالم المرأة من خلال وجودها المكثف في روايتيه السالفتى الذكر كما أحسن رسم الكم الهائل من التناقضات من حيث الشخصيات والألوان والأدوار، لقد أجاد التعامل معها وجعلها تنهض لخدمة سير الرواية، وكان مثولها فيها أساسياً غير مقحم لمواكبة الأحداث.

فالفقيه معنُّي بالمرأة إلي حد كبير يبحث في معظم كتاباته عن سر توتر العلاقة بينها وبين الرجل لذلك يمكننا إدراك مدى اهتمام الرواية الليبية بقضية المرأة من خلال إبراز عدة صور لها داخل المجتمع المدني والريفي على حد سواء ([14]) .

14- انظر: سمر روحي الفيصل، "دراسات في الرواية الليبية "، سلسلة كتاب الشعب، العدد:12، ط 1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، ديسمبر 1983م، ص 188.

الفصل الأول: "المرأة عند الفقيه":

المبحث الأول: صور المرأة.

ما يهمنا ليس وجود المرأة داخل الأعمال الروائية للفقيه فحسب، بل تهمنا كيفية ذلك الوجود وطبيعته وما يطرحه على القارئ من قضايا اجتماعية ورؤية الكاتب وانتمائها الفكري، وبأي القطاعات من المجتمع ترتبط؟ وهل وجودها أساس مهم من أساسيات الرواية أم أنها مجرد حضور باهت مبتذل زائد عن الحاجة لا يزيح اللثام عن جوهرها ولا يثري شخصيتها؟.

– وللإجابة عن كل هذه التساؤلات نقول:

إن وجود المرأة في روايات الفقيه جاء حصيلة مشكلة اجتماعية طالما أرقّت الإنسان العربي والليبي خصوصاً، ففي تملّك الرجل للمرأة ينتهي التفكير والتدبير. لذلك فإن الفقيه ([14]) حاول من خلال هذا الواقع أن يسلط الضوء على الجوانب المظلمة في حياة المرأة، كاشفاً كغيره من الأدباء أمثال " **يوسف الشريف**" و"**خليفة الفاخري**" عن مواطن الخير والشر مبرزاً بذلك قيم ومفاهيم جديدة، تمشياً مع تطور الإدراك لدى المواطن الليبي رجلاً كان أم امرأة ([15]). إذن فالمرأة عنصر فعّال ومكمل لشخصيات الفقيه الروائية وليست كماً مهملاً فائضاً عن الحاجة لذلك كانت صورها متنوعة فهي البغي والمفكرة والعاطفية والأم والحكيمة والعاجزة. وهذا الوجود المكثف للمرأة في روايات الفقيه ينبيّء عن شدة ولعه بها كنموذج له خصوصيته وفق وجهة نظره الخاصة فجاء تعامله معها متفاوتاً من حيث العمق والقوة في الروايتين.

14. سليمان كشلاف، مصدر سبق ذكره، ص77.

15. انظر: المصدر السابق، ص78.

فالمرأة البغي موجودة في **الثلاثية** مثل **(ليندا)** التي تعرف عليها البطل خليل أثناء دراسته في إنجلترا إنها المرأة **الجسد**، الوافرة العطاء فهي تمثل لديه الحياة برقتها مادامت تمنحه المتعة فهو بعفوية وبساطة يصف ذلك قائلا "**مضت علاقتنا تصنع شرعيتها الخاصة التي بدت لي اكثر عمقاً من أية شرعية تصنعها وثيقة الزواج أو سجلات المكتب البلدي**"([16]).

– أما **(ساندرا)** النموذج الآخر للمرأة البغي المحررة من كل رباط، التي تطاوع النداء الأعمق الذي يأتيها من داخل نفسها، فإنها تمثل لدى البطل الانطلاق والثورة تقول **(ساندا)**" ها هو رجل العنف والجنس يرتدي الان قلنسوة رجل الدين. يجب أن أزداد اعتزازاً بنفسي لأنني أغويت راهباً "([17]) وهذه الفتاة التي ربطتها بخليل علاقة من نوع أخر بعد رحيل **(ليندا)**، تعيش حياة خاصة بها ولها موقف من الحياة يختلف عن موقف خليل الأمر الذي أدهشه واستهواه إلى حد الانبهار.

– أما **(سعاد)** المرأة البغي فهي الأخرى نموذج للمرأة المستهترة التي لا تشكل عبئاً على حد قول خليل "ولا تطالب بعلاقة دائمة، ولا تضع نفسها موضع المنافسة مع **(سناء)**" ([18]) فهي بالنسبة للبطل امرأة اللحظات الحميمة، فهو يستجيب لها تعويضاً عن مشاعر الإحباط التي شعر بها في علاقته **(بسناء)**. ولعل الكاتب هنا يوظف هذه الصورة كي يناقش ظاهرة معينة.

---

16. أحمد إبراهيم الفقيه، "سأهبك مدينة أخري"، ط 1، منشورات مؤسسة الريس للكتب والنشر، لندن – قبرص، مايو 1991م، ص 30.
17- أحمد ابراهيم الفقيه،" سأهبك مدينة أخري "، ص 166.
18. أحمد ابراهيم الفقيه،" نفق تضيئه امرأة واحدة "، ص 187.

– **(فاطمة)** زوج خليل هي نموذج للمرأة التقليدية الباردة، تمثل بالنسبة للبطل الرتابة والجمود فقد جاء وصفه لها معبراً عن نفوره منها وعجزه عن التواصل معها فنعتها بالعقم، وبأن ملامح وجهها تتغير عند النوم "... ما أن تنام حتى تفر الدماء من وجهها، ويصبح الوجه قطعة من القماش الأصفر، وتظل العينان نصف مغمضتين وقد غاب الجزء الحي منهما، فلم يبق إلا البياض"([19]).

– أما **(نرجس القلوب)** المرأة العاطفة فهي تمثل الأمومة الحانية والعطاء الدافئ عند البطل وتتجسد من خلالها ثنائية العلاقة في زمن الحلم. تزوجها خليل وهي تشبه **(شهرزاد)** الأسطورة يصفها قائلا:" كانت تقبل نحوي باسمة الوجه والعينين، تخطر في مشيتها الأميرية وأثوابها الزاهية الألوان كعرجون من الضياء تطعمني وتسقيني وتسكب حنانها في مهجتي"([20]).

وبرغم كل الصفات التي تحملها من جمال، وأخلاق، وثراء، يتحول عنها إلى فتاة أخري. كما فعل مع **(ليندا)** في مدينة الواقع.

ونموذج آخر يقدمه الفقيه وهو **(بدور)**: المتحررة من ضغط التقاليد، إنها الفتاة التي أحبها خليل في مدينة " عقد المرجان". وهي صورة أخري لحبيبته الحقيقة **(سناء)** التي رآها في مدينة الواقع أنه يخلق مفارقة بين الشخصيتين عن طريق زمن الحلم... " كان المشهد ناقصاً، حتى جاءت **(بدور)** تملأ هذا الفراغ وتصبح محوراً لهذا الجمال والتقاء عناصره حولها "[21] جاءت لتزلزل كيان

19. المصدر السابق، ص 80.
20. أحمد ابراهيم، "هذه تخوم مملكتي "، ص 133.
21. "هذه تخوم مملكتي، ص 107.

خليل وتهدد استقراره. إنها صورة للرغبة المكبوتة في عقله .وجد فيها المرأة الاستثناء جاءت مطابقة لامرأة أخرى ترقد صورتها في قاع الذاكرة هي **(سناء)** لها نفس التحرر والعفوية ،إنها أيضا رمز للمرأة المغربية التي تقود رجلها إلي الحاضر عبر فضولها الذى لا ينتهي .ثم تطل علينا **(سناء)** في الجزء الثالث من الثلاثية كنموذج للفكر الواعي، حين رآها خليل أحس أنها المرأة التي ظل طول عمره ينتظرها وعندما فارقته بعد نقاش طويل حول النبات وخواصه الطبية، وحول حرية المرأة، وعسف الرجل وحول تماثيل العصور القديمة وحكاياتها الموزعة بين الحزن والفرح ،أحبها ثم خطبها لكن الوحش الكامن في أعماقه أبى إلا أن يدمرها قبل أن يتزوج منها فإحساسه بالتدني كان يلازمه إذا ما قارن نفسه (بسناء) .كان يشعر بالنقص أمامها، ويرى نفسه تدور في محيطها . كانت هي الجانب الاقوى والاكثر طغياناً، وجمالاً، وقوة. لذلك ذهب إلى المرأة البغي **(سعاد)** ليؤكد عجزه عن امتلاك **(سناء)**، قال لها خليل مرة أثناء إحدى محاوراتهما مستسلما لمنطقها: "ما يغيظني هو أنك ستكونين معبودة الجماهير ... "[22] لذلك فهو يريدها حسب مقاييسه التي وضعها للمرأة. إن ازدواجية شخصيته وروح المتحضر الهشة لديه كانت تخفي رغبة الرجل البدائي بداخله؛ وكأن الكاتب يوضح لنا أن المرأة المتزوجة من هذا الرجل تكون على علاقة مع رجلين أحدهما لا ينتمي للأخر، ولكل شخصيته المتفردة. فالبطل يحيا في دائرة الوهم، بينما الواقع

22. " نفق تضيئه امرأة واحدة "، س ص 203.

يدمر كل شيء لأنه هو الأساس. كذلك نلاحظ أن المرأة التي يطمح إليها الكاتب هي التي تجمع كل الشخصيات السابقة. ولكن كيف تصل المرأة إلي استخدام هذه الشخصيات لتتمكن بالتالي من تقويض الرجل ووضعه في دائرتها؟ .

وفي روايته "حقول الرماد" تطل علينا **(جميلة)** بكل معاناتها وعجزها وعذابها، إنها رمز للجمال الغريب وسط بيئة قاحلة .إن أبطالها لا يتكلمون إلا عن **(جميلة)** لا حضور لها في الرواية إلا بغيابها، إنها لا تتحدث بل نحُدث عنها "ولم تمض سوى أشهر قليلة على ذهابها إلي المدرسة حتى انتبه الناس إلي جمالها وصاروا يلهجون باسمها..." [23] لقد اغتالها الجهل والحقد فوقعت ضحية للشائعات الكاذبة قال **(العيد)** الشاب الذي أحبها بحيرة "إنني لا أجد تفسيراً لهذه الحمى التي أصابت القرية، رأيت أكثر الناس طيبة وسذاجة يمشون في الطرقات وقد نبتت لهم أنياب زرقاء " [24] إنها صورة قاتمة لواقعنا الذي يغتال الأحلام البريئة .ورغم عجزها عن تغيير الأوضاع فإنها واعية تماماً لظلم المجتمع، لذلك تبرز روح التحدي لديها أحياناً في ذهابها للمدرسة سافرة الوجه وفى خروجها سراً لبيت **(أمي سعيدة)** ومقابلة **(العيد)**، وفى رفضها الزواج من المتصرف ورغبتها الهرب مع (العيد) بعيداً عن جحيم القرية .قالت **(جميلة)** مدافعة عن قرارها :" إنه الاختيار الوحيد الذى تبقى لنا [25] "في حين ترمز **(أم جميلة)** ونساء القرية الأخريات إلى الخمول وعقلية القطيع ويمثلن

(23). أبراهيم الفقيه، "حقول الرماد"، ط1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، 1985م، ص 17.

(24). المصدر السابق، ص 152.

(25). المصدر السابق، ص 109.

عقبة في وجه التغيير. **(أمي سعيدة)**: واحة الأمان التي استظل بها **(العيد وجميلة)** من لهيب بيئة ميتة لا روح فيها ولا حياة، رَمْز الحكمة الواعية التي تعيد الأمور إلي نصابها عندما يفقد كل شيء قيمته، الصدر الحنون الذي امتص عذابات **(جميلة)** وهواجس **(العيد)**"... إنها الآن فقط وفي حضرة هذه المرأة المباركة التي فتحت لها منذ الطفولة قلبها وبيتها ووسط هذا الجو الذي يعبق بالمحبة والأمومة ... تستطيع أن ترتاح" [26] .

وكثيراً ما كانت **(أمي سعيدة)** تعنّف والد **(جميلة)** على جبنه وجشعه قائلة له:" اتق الله في ابنتك يا عامر، أتبيعها بمنصب من مناصب الحكومة " [27] إنها صورة للوفاء والإخلاص الحقيقيين.

وبما أن نظرتنا للمرأة تحدد موقفنا من الإنسان ومن المحيط الاجتماعي ومن العالم بأسره فلنا أن نلاحظ إن تعدد صور المرأة في روايات الفقيه يهدف إلى تحليل واقع الحياة السائدة من جهة، ويعكس رؤية الكاتب وعقيدته الاجتماعية من جهة أخري، لبعضنا في نهاية الأمر أمام صورتين للمرأة: المرأة كما هي في الواقع والمرأة كما يجب آن تكون.

---

(26). المصدر السابق، ص 109.

(27). جورج طرابيشي، "رمزية المرأة في الرواية العربية"، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1985م، ص 76.

المبحث الثاني: المرأة والبيئة.

يقول حنا مينه:".. وحين أتناول شخصاً من شخوص الحياة أو بيئة من بيئاتها. أتناوله كأساس، كخامة لها زمانها ومكانها ..." [28] فالبيئة هي الوسط الطبيعي الذي تجري في دائرته الأحداث وتتحرك الشخوص [29]. والمرأة في روايات الفقيه صورة صادقة معبرة عن بيئتها بكل سلبياتها وإيجابياتها حيث مارست المرأة وجودها في جو من الواقعية التي أكدت على أهمية التناقضات الاجتماعية السائدة. ففي الجزء الأول من الثلاثية سافر **(خليل)** إلى انجلترا لإتمام دراسته العليا، وهناك تعرف إلى **(ليندا)** وأقام علاقة معها رغم أنها متزوجة ولم يمانع الزوج من إقامة هذه العلاقة، **(فليندا)** هنا صورة لحياة الغرب بكل انحلاله ومجونه. ثم أقام علاقة أخري مع **(ساندرا)** لتوقظ في نفسه شهيه قديمة للنقاش والجدال رغم استهتارها بكل القيم إنها رمز للقاء غير المتكافئ بين حضارتين متباينتين، فالكاتب ينطلق من أيديولوجية خاصة تتأثر من ناحية بالماضي وتخضع من ناحية أخري لومضات الحاضر والمستقبل. فهو هنا ومن خلال تقديم هذين النموذجين يرسم بمهارة خلفيتهما الثقافية والحضارية اللتين تعكسان أيديولوجيتهما الخاصة، يقول **(خليل)** معبراً عن ذلك [30]:"لم تكن الأرض حقا محايدة .أدركت وأنا أمشي بمحاذاتها عبر المناطق التي تحيط بحديقة **(الهايدبارك)** أن هذه الأرض أرضها، وأن كل هذه

(28). حنا مينه،" هواجس في التجربة الروائية "، دار الآداب، بيروت ،1982م، ص 15.

(29). عبد القادر أبو شريفة وحسين لاقي قزق،"مدخل الي تحليل النص الادبي "، ط الأولي، دار الفكر، عمان 1993م، ص 138.

(30). أحمد إبراهيم الفقيه، "سأهبك مدينة أخري "مصدر سبق ذكره، ص 33.

الأماكن التي لا تعنى لي إلا ما تعنيه لأي سائح عابر، ترتبط لديها بركام من الأحداث التاريخية التي صارت جزءاً من تكوينها وثقافتها "وفي الجزء الثاني تبدو مدينة "عقد المرجان "التي تجسد من خلالها عالم الوهم حيث التقى خليل بـ(**نرجس القلوب**) وتزوجها، وهي تمثل القيم المثلى ووجودها في مدينة الحلم صورة للماضي المشرق بكل وقاره وبهجته ثم يتحول البطل عنها إلي (**بدور**) وهي الفتاة المتحررة من قيود الأعراف. وكأنه بذلك يهرب من حياته **الأولى** إلي حياة أكثر براءة وعفوية (**فبدور**) هي الوجه الآخر للماضي بكل سلبياته وفي الجزء الثالث "نفق تضيئه امرأة واحدة" تدور الأحداث على أرض الواقع حيث يتعرف خليل على (**سناء**) المعيدة بكلية الصيدلة بالجامعة، لم تكن فتاة عابثة أو عادية رغم عدم تجاوزها لحدود بلدها، كان بداخلها شعور كامل بأنها انسانه متفوقة وطموحة، وربما اكتسبت ذلك الإحساس من البيئة التي من حولها بكل تناقضاتها. إنها رمز للمرأة الواثقة التي ترفض ما يتعارض مع رغباتها الحقيقية، واستجاباتها الداخلية.

أما في رواية (**حقول الرماد**) فتبدو لنا قرية "قرن الغزال " مكاناً منغلقاً إيديولوجياً وعاطفياً، وما (**جميلة**) إلا صورة لتعذر العلاقة بين الجمال وبين البيئة التي حوله، ومحور للتوتر والصراع بين النقيضين. في ضوء ما سبق، يمكن أن نقول: إن الإطار المكاني في روايات " أحمد إبراهيم الفقيه" هو مكان مألوف بالنسبة للكاتب؛ فلندن وطرابلس والقرية أمكنة تركت أثراً في ذاكرة الفقيه، ولذلك فإن علاقة المرأة بالمكان هنا هي رمز إلي الانتماء بمعانيه المختلفة .

أما الزمن في الثلاثية فليس هناك مؤشر زمني بالمعني العام فهو لم يُحدد بالنسبة ولا الشهور ولا الأيام لذلك تبدو علاقة المرأة بالزمن من خلال الأحداث، فقد تعامل (**خليل**) مع ألف ليلة وليلة عندما كان يدرس في "انجلترا" وأقام علاقات غير ثابتة مع نساء عدة ليستقر مع (**ليندا**) التي أحبها لفترة وينتقل أخيراً إلي (**ساندراً**) ثم يدخل عالم ألف ليلة وليلة في "هذه تخوم مملكتي" ويعثر في حلمه على (**نرجس القلوب**) ويتزوجها، ثم تظهر (**بدور**) فتقلب الأوضاع كما فعلت (**ساندرا**) في سأهبك مدينة أخري" ثم يلتقي (**سناء**) في "نفق تضيئه امرأة واحدة" وهي تشبه (**بدور**) في مدينة الحلم ولهما نفس العفوية ونفس النظرة للحياة لذلك فهو يصبغ صفة الجمال علي النساء اللاتي عرفهن في الماضي حيث يصف (**ليندا**) بالجمال وكذلك (**ساندرا**) وقد جاء في وصفه لـ(**ليندا**) قوله: "ظل يغمر

وجهها فيض ابتسامة غامضة، جمال هادئ دون إثارة، وعينان عسليتان" [31] ووصف **(ساندرا)** بقوله" امرأة صغيرة، ولكن التناسق في تكوين جسمها يجعل الناظر إليها لا ينتبه إلي حجمها الصغير "[32] ثم رسم لزوجته **(فاطمة)** صورة مخالفة، لأنها تنتمي إلي الحاضر فأضاف كل صفة موحشة إلي هذا الزمن "ترهل الجسم قليلاً، وأنطفأ في عينيها الألق القديم ..."[33] لذلك انهارت حياته معها بعد ثلاث سنوات، ولعل الكاتب – ومن خلال انتقال البطل من امرأة لأخرى أراد أن يؤكد على فكرة الموت والحياة.

---

(31). أحمد إبراهيم الفقيه،" سأهبك مدينة أخري "، مصدر سبق ذكره، ص 13.

(32). "سأهبك مدينة أخرى "، ص 87.

(33). "نفق تضيئه امرأة واحدة "، ص 48.

وفي رواية **(حقول الرماد)** يبدو الزمن مرتبطاً بالأحداث على شكل اشارات تجسد علامات للماضي والحاضر والمستقبل بدايةً من ميلاد **(جميلة)** وتسميتها بهذا الاسم بدل **(الشينة)** ليكون هذا الاسم لائقاً بها عندما تكبر حسب رأي " أمي سعيدة" ثم دخولها المدرسة حتى تخرجها وتتواتر الأحداث فتتخذ ردود فعل **(جميلة)** دلالة اجتماعية عميقة، قالت **(أمي سعيدة)** وهي ترى **(جميلة)** تقف على باب بيتها: "ما أسعدني وأنا أراك تخرجين من هذه المحنة متألقة كالشمس " [34]. وهكذا نستنتج إن الزمن الروائي في أدب **(الفقيه)** هو زمن موضوعي تبدو من خلاله عملية كشف للمجتمع الإنساني، ومن خلال المرأة يتخذ هذا الزمن شكل احتجاج أو انتفاضة.

(34). "حقول الرماد "، ص 87.

الفصل الثانـي :"دراسة فنية "

المبحث الأول: الشخصيات.

لا يسوق الكاتب أفكاره وقضاياه منفصلة عن محيطها الحيوي.. ولا يمكن أن، نتصور أحداثاً دون أن، يشارك فيها شخص أو أشخاص [35] إن شخصيات الفقيه في هاتين الروايتين تبدو جزءاً منه، وتعكس آراءه وتجاربه في الحياة، فكل الشخصيات رجالاً ونساء تلتقى في هم مركزي واحد وهو الموضوع الذي من أجله تتصارع وتنمو، وبالتالي تسهم في بلورة الأحداث، ففي الثلاثية بجزئيها الأول والثالث وفى رواية "حقول الرماد" تطالعنا مجموعة من الشخصيات استوحاها الكاتب من الحياة الحاضرة بتوجيه مكثف بينما احتوى الجزء الثاني من الثلاثية على شخصيات خيالية مقتبسة من الحياة الماضية في التاريخ أعاد الفقيه رسمها بطريقة مثيرة، وهو حريص على تقديم شخصيته واضحة الأبعاد، فنلاحظ أنه كثيراً ما يصف الشخصيات قصد المقارنة وتوليد الفروقات لرسم التصوير الحقيقي للشخصية فيقارن على لسان بطل ثلاثيته خليل بين **(ليندا وساندرا)** قائلاً:" تبدو**(ساندرا)** أكبر من عمرها نضجاً، كتاب أنيق مبهج لا يمل المرءُ قراءته، امرأة مصنوعة من جمر مواقد الفكر .. في حين كانت **(ليندا)** بأنوثتها وثراء عواطفها وردة من ورود الحديقة تشرب الريح والمطر... [36] ونلمح كذلك مزاجية بطل الثلاثية في علاقته

(35). عبد القادر ابوشريفة وحسين لافي قزق،"مدخل إلى تحليل النص الأدبي "، ص 132.

(36). سأهبك مدينة أخرى "، ص ص: 107،108.

(بسناء) فهو رغم انبهاره بها وبنقاشها، ورغم إعجابه بصوتها في الغناء وبتفوقها عليه في السباحة، فلا يزيده ذلك إلا إحساساً بالنقص واعترافاً بعجزه، يقول معلقاً على ذلك: "لماذا أقسو على نفسي إلى هذا الحد لتكن ماهرة في السباحة ... "[37] وفي رواية "حقول الرماد" يبدو **(العيد)** صورة للأمل والحياة في دنيا**(جميلة)** القاحلة فهو ساخطٌ على القرية التي تقدس القبح وتكره أن تنبت في تربتها الكالحة، زهرة جميلة واحدة قال معبراً بغضب عن ذلك: "من قال إن العصر الحجري قد انتهي؟" فشعوره بأنه عاجز عن تغيير الواقع المرير يضاعف من عذابه وألمه، و**(جميلة)** ضحية الظلم والتخلف تبدو كجثة هامدة، احتبست أنفاسها وفارقتها الحياة، [38] إن إصرار (العيد) على رؤيتها منحها الحياة من جديد. افترت شفتاها عن ابتسامة ترحيب وفرحة باللقاء [39]، ولعلنا نلمس من خلال ذلك كله أن الفقيه يحسن استخدام شخصياته، كل حسب دورها وأهميتها في السياق العام، وهو يضعنا مباشرة أمام المواقف المعلنة للشخصيات وفقاً لأقوالها وأفعالها التي تبدو معها المراقبة الذكية للكاتب فيوجه آراء شخصياته ولا يصادرها.

(37)." سأهبك مدينة أخرى "، ص ص: 107،108.

(38). " نفق تضيئه امرأة واحدة "، ص 19.

(39). "حقول الرماد "، ص 87.

المبحث الثاني: الأسلوب.

يعد الأسلوب ركناً جماليا في الرواية [40]، فكلما ابتعد عن الإخبار واقترب من الكشف والعرض كلما تحققت بهجته، ولذلك فقد اعتمد الفقيه على أساليب متعددة في كتابته للروايتين من حيث تصوير الشخوص، وتوضيح الأفكار وحبك الأحداث، ومن ذلك السرد باستخدام صيغة المتكلم في "**الثلاثية** " ولعل السارد بضمير المتكلم ليس الكاتب نفسه ولكنه يمثله" أذهب إلي الجامعة وأتجول في الأسواق وأقابل الناس..."[41] وفي رواية "**حقول الرماد**" يستخدم الكاتب ضمير الغائب فهو الراوي الذي يمتلك كل المعلومات حول كل مايدور في روايته ونراه يقدم شخصية **(العيد)** من خلال اسمه :"**العيد** ليس اسمه الحقيقي، ولكنه لقب منحه له أطفال القرية ثم وجده الكبار اسماً يليق بصاحبه فصاروا ينادونه به..."[42]، وقد استعان الكاتب كثيراً بالمونولوج الداخلي **(الحوار الباطني)** لتحليل الأحداث والاستغراق في البواطن النفسية للشخصيات يقول خليل في حوار مع نفسه: "إنني إنسان بائس، عاجز..."[43] ويتبين لنا ضعفه أمام المرأة وانقسام شخصيته ببن ما يريد وما هو كائن فيها، فيتساءل " ماذا أسمي هذا الازدواج وهذه الثنائية في السلوك [44] ؛ كما كان الوصف واضحاً في النصين الروائيين حيث قدم الكاتب وصفاً دقيقاً لمعظم الأشياء

---

(40). إ.م فورستر، ترجمة: موسي عاصي، "أركان الرواية"، ط1، جروس برس، لبنان، طرابلس، 1994م، ص 111.

(41). "هذه تخوم مملكتي " ، ص 9.

(42). " حقول الرماد "، ص 31.

(43). " نفق تضيئه امرأة واحدة "، ص 193.

(44). "سأهبك مدينة أخرى "، ص 107،108.

راسماً معالمها وكل جزئياتها، واهتم بوصف المرأة خاصة الناحية الجسدية وإن جاء وصفاً مكرراً فقد وصف **(بدور)** في الجزء الثاني "هذا الألق القادم من عينيها المتوهجتين بألوان الفجر "[45] ثم وصف **(سناء)** وخلق شبهاً بينها وبين **(بدور)** " الوجه الشفاف الذي ازداد تورداً وصفاء"[46].

وفي رواية " **حقول الرماد**" يصف الكاتب قرية "**قرن الغزال**" قائلا: "ليست إلا واجهة خادعة لمجموعة من البيوت القميئة الملتصقة بالأرض والدكاكين الفارغة وحظائر الدجاج وسحب الذباب والأتربة"[47].

ونلاحظ أيضاً قدرة الكاتب في توظيفه للاسترجاع **(الفلاش باك)** الذي يشد القارئ لمتابعة تسلسل الأحداث، ففي الجزء الأول يصل خليل نبأ موت والده فيتفجر الحزن بداخله مسترجعاً ذكرياته في حياة أبيه فيتساءل بألم ممض:"هل حقاً مات؟ كيف أستطيع أن أصدق ذلك وهو الرجل الذي كان يذهب بقدميه إلى الموت، يصارعه وينتصر عليه. قضي جزءاً من عمره ماشياً فوق حقول الالغام " [48] وفى "**حقول الرماد** "يكشف لنا الكاتب جانباً من شخصية **(أمي سعيدة)**، "أخذتهن الزنجية العجوز **(أمي سعيدة)** بغنائها في رحلة حنين إلي الأيام البهيجة القديمة عندما كانت تحيى أعراس القرية بأغانيها وعزفها " [49] أما عن المفارقة فقد أحسن الكاتب توظيفها بصورة مثيرة ، ففي الجزء الثالث

(45). "هذه تخوم مملكتي، ص 9.
(46). " نفق تضيئه امرأة واحدة "، ص 193.
(47). " حقول الرماد "، ص 7.
(48). " سأهبك مدينة أخرى "، ص 69.
(49). " حقول الرماد "، ص 25.

من الثلاثية كانت **(سناء)** هي الفتاة التي أحبها خليل وحمل صورتها في ذاكرته إلي مدينة "**عقد المرجان**"، وخلق تعتيماً على هذه الشخصية عندما قدمها في زمن الحلم أولا تمثلها شخصية **(بدور)** ثم أعلمنا في الجزء الثالث أن **(بدور)**هي **(سناء)** الحقيقية، والمفارقة هنا خلقت تشويقاً لدى القارئ. كذلك عند الإعلان على أن **(ساندرا)** يتيمة وفقيرة ولا أسرة لها ثم نكتشف أنها بنت لأسرة ثرية وهي الوريثة الوحيدة لأحد أصحاب الملايين مما خلق لدينا حالة من الشك. وفي رواية "**حقول الرماد**" يخلق الكاتب مفارقة تهز القارئ بل تصدمه فقد ذهب إمام القرية الورع الشيخ **(نصر الدين)** إلي ضابط الشرطة ليعترف له بإثم لم يقترفه في حق **(جميلة)** "ثم يتضح جنونه فأبقوه أسبوعاً للعلاج..."[50] ونستنتج مما تقدم إن الفقيه قد أجاد استخدام هذه التقنيات وأعطى للسرد رونقاً جمالياً عالياً.

(50). " حقول الرماد "، ص 147.

المبحث الثالث: أهمية اللغة.

اللغة هي، مادة الأديب، وكل عمل أدبي هو مجرد انتقاء من لغة معينة [51] وروايات الفقيه تميل إلى البساطة والوضوح والسعة من حيث استعماله للكلمات والصياغة التي اختارها للتعبير، فلغته لغة أدبية ذات معان وإيحاءات متعددة تنبئ عن قدرته الدرامية وطابعة التلقائي المباشر. وقد كانت البنية الروائية محكمة وذلك لتحقق الانسجام بين الشخصيات والمادة اللغوية وفقاً للبنية الثقافية ففي "**الثلاثية**" جاءت اللغة فصيحة مرنة تكشف عن تمثل تام لكل تفاصيل الرواية مع استعمال علامات الحذف والجمل التي تراوحت بين الطول والقصر تبعاً للسياق سواء في السرد أم في الحوار نلاحظ ذلك في الجزء الأول فقد تكررت عبارة" كأنك لا تعيش معنا"[52] أكثر من مرة يقولها الناس لـ " **خليل**" فتتضح من خلالها الأبعاد النفسية لهذه الشخصية، ثم تعاد مبتورة كأنك... لتجسد عبثية السؤال عن حقيقة راهنة. وأحياناً يتدخل السرد بالوصف بطريقة فائقة، تبدو معها انسيابية اللغة فتزيد الصورة تماسكاً جاء ذلك في الجزء الثاني عندما يصف خليل ترحيب **(نرجس القلوب)** به " وتلقيت نظرة مشعة من عينيها فأحسست بالفرح رحيقاً يسرى في جسمي "[53] وقد نلمس من خلال الحوار التالي بين خليل و**(سناء)**التناقض الشديد بين شخصيتيهما في الآراء والأفكار. فحين عرضت **(سناء)** على خليل فكرة العودة لمسرح الجامعة

---

(51). رينيه ويليك، وأوستن وارين، ترجمة: محي الدين صبحي، "نظرية الأدب"، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، م1984، ص 179.

(52). " سأهبك مدينة أخرى "، ص 8.

(53)." هذه تخوم مملكتي"، ص 31.

لممارسة هوايتهما في الغناء والتمثيل "علق خليل ساخراً: مدهش.

- ولماذا الاندهاش؟.
- كيف لا اندهش لما تسمينه فكرة مدهشة ؟.
- أنت تسخر من الفكرة .
- سيعتبرونه جنوناً..."[54].

وفي رواية "حقول الرماد" استطاع الفقيه أن يوظف اللغة لتلائم البنية الثقافية للشخصيات وعلاقتها بالإطار العام للأحداث، نلمس ذلك من خلال المفردات **التالية:**

سيدي أبو قنديل – المزار – خط الرمل – كرناف النخيل – الغولة – صرة من التراب – الجريدي – الزبون.

لقد أعطت هذه الكلمات دلالات معنوية عميقة. كما نلاحظ أن اللغة تراوحت بين اللغة الفصيحة في السرد حيث يعطينا الكاتب صورة عن مقهى القرية " يكتسب المقهى الوحيد في القرية قيمة أثرية لما يحتويه من لوحات مرسومة على الجدران لفرسان يركبون الخيل [55] "...واللغة العامية المثقفة من خلال **بعض الحوارات الآتية:**

1- البركة فيكم وفى الحكومة.

2- إنك تحرجينني أمام بقية البنات .. كأنني عيلة صغيرة.

3- ما هذه الكلام يايتيم، هل صارت الدنيا تمشي بالمقلوب؟[56].

---

(54). " نفق تضيئه امرأة واحدة "، ص 158.

(55). " حقول الرماد "، ص 147.

(56). المصدر السابق، ص ص: 12،78 ،137.

واخيــراً....

يمكننا القول: إن اللغة عند الكاتب "**أحمد إبراهيم الفقيه**" تنتمي إلى الواقع المعاش وتصور الحياة بالطريقة التي يراها الكاتب مقنعة ومؤثرة من خلال العناية بمفرداته التي تُظهر القيمة الجمالية في النص الروائي،" باعتباره عملاً إبداعياً يتعامل مع الرؤى والمشاعر والعواطف والانفعالات ويقتضي درجة من المقاربة الحدسية، الحلمية والمعالجة الرؤيوية"[57].

نتائج البحث:

بعد هذه المعالجة الدراسية المتواضعة **أمكننا استنتاج النقاط التالية:**

1- إن المرأة مكون أساسي من مكونات عالم الفقيه الروائي ولهذا أعطاها حيزاً كبيراً في رواياته.

2- الوجود المكثف للمرأة وخاصة في رواية " **الثلاثية**".

3- المرأة عند الفقيه تقوم بدور تنبيهي لمسألة الوعي، تحرك الأفكار لدى الشخصيات وتثير عواطفهم.

4- إن الفقيه لديه قدرة على رسم الشخصيات الأنثوية وتكوينها، بحيث تكشف لنا عن أكثر قدر ممكن من خصائصها.

5- إن الفقيه يمتلك هاجساً روائياً مهماً وهو الصراع بين القديم والجديد ويعتبر المرأة طرفاً فيه.

6- تعامل الفقيه مع أغلب صور المرأة يكشف عن قدرة إبداعية وذائقة فنية عالية.

(57). فاطمة سالم الحاجي "مؤتمر القاهرة الدولي للأبداع الروائي" مجلة الفصول الأربعة، ص 159، عدد 82.

7- استخدم الفقيه تقنيات جمالية عديدة لتشويق المتلقي لمتابعة الأحداث، مثل: المفارقة، والشك، والمفاجأة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر.

1- حقول الرماد (رواية)– أحمد إبراهيم الفقيه – ط/الأولي المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان – طرابلس –**1985م.**

2- الثلاثية (سأهبك مدينة أخرى– هذه تخوم مملكتي – نفق تضيئه امرأة واحدة) (رواية) – أحمد إبراهيم الفقيه– ط/الأولي – منشورات مؤسسة دار الريس للكتب والنشر– لندن– قبرص – مايو **1991م.**

ثانياً: المراجع.

1- اركان الرواية –أ.م فورستر – ترجمة موسي عاصي – ط/الأولي –جروس برس – لبنان – طرابلس –**1994م.**

2- دراسات في الرواية الليبية – سمر روحي الفيصل – ط/ الأولي – المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان– طرابلس –**1983م.**

3- دراسات في الرواية الانجليزية – انجيل بطرس سمعان – الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة –**1981م.**

4- الرواية في الوطن العربي – على الراعي –ط/الأولي – دار المستقبل العربي – مصر –القاهرة –**1991م.**

5- رمزية المرأة في الرواية العربية–جورج طرابيشي – ط/الثانية–دار الطليعة– لبنان –بيروت – **1985م.**

6- المرأة الأنموذج في الرواية العربية الحديثة – شمس الدين موسي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة –**1985م.**

7- مدخل إلى تحليل النص الأدبي– عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزق– ط/الأولي – دار الفكر –عمان –**1993م.**

8- مقالات في القصة والرواية – خليفة حسين مصطفى – المنشأة العام للنشر والتوزيع والإعلان – عدد **97**–ط/الأولي – طرابلس –ليبيا –**1986م.**

9- نظرية الأدب – رينيه ويليك، وأوستن وارين – ترجمة محي الدين صبحي – ط/الأولي – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت –**1948م**.

10- هواجس في التجربة الروائية – حنا مينه– دار الآداب – بيروت –**1982م**.

ثالثاً: الدوريات:

1- الفصول الأربعة: العدد **8**/ السنة الثانية /**1979م**– الجماهيرية (سابقاً).

2- الفصول الأربعة: العدد **82**/السنة العشرون /**1998**م، الجماهيرية (سابقاً).

3- مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية: العدد**79** / السنة التاسعة / **1992**م، القاهرة.